

بدوي الجبل.. سيف الشعر العربي الحديث.. عاشق الشام.. وفارس القافية نحن لا نكرم الأدباء إنما نكرم أنفسنا بهؤلاء الأدباء لنقول إنهم كانوا في أرض سورية العظيمة

وزير الثقافة: بلاده وأمتها هما جيبتهما ليغدو مع الزمن حضناً للعاشقين والمفكرين.. وزاداً للمفكرين.. وغذاءً للعاطفيين



يونس: لا تكاد تخلو قصيدة من قصائد البدوي من حديث أو إشارة أو إلماحة عن الشام

وروحه المتبردة وأيضاً يمتلك فطرة كبيرة لتقبل الجديد فمن أصل ثلاثين قصيدة هناك ١٣ قصيدة كتب فيها وبدل الأوزان وبدل الموسيقى.

بليغ الكلام

ومن جانبه تحدث مدرس النحو والصرف في جامعة دمشق الدكتور محمد عبد الله قاسم في محوره الذي اختار له عنوان «اللغة الشعرية عند بدوي الجبل»، وقال: «قصبة البيان ترجمان القلوب وروض النفوس، وبه استولى يوسف عليه السلام على مصر، فإن العزير لما رأى فصاحة لسانه وحسن بيانه أعلى مكانه، وأعظم شأنه، وقد قيل: إن البيان قاض يحكم بين الخصوم، وضياء يجلو الظلم، وحاجة الناس إلى مواده كحاجتهم إلى الغذاء والماء».

وأضاف قاسم إن «بدوي الجبل محمد سليمان الأحمد من الذين بسط لهم الله في البيان بسطاً، ويحجج له رزقه من موهبة القول الدفاق وبليغ الكلام، ودمت له الدرب، ووطأ له الأخطاف، فجاء شعره مثل الخمر تحدثت عجائب في النفس وبيداع في الروح»، مشيراً إلى أنه «تدفقت أقلام الكتبة وشهادات المنصفين تنفي على شعر البدوي الفناء الجم، وتنص على السحر الذي يغشاه، والفتنة التي يبدئها في قلوب سامعيه».

وذكر قاسم بعض الأمثلة حيث قال فيه أحمد شوقي: «ده شاعر أفهمه».

وقال بشارة الخوري: «إن الشعراء في سورية كأصابع الكف الواحدة عدداً وحجماً، وبدوي الجبل إحدى هذه الأصابع، في نفسه شاعران إذا انتصر أحدهما للقديم اعترضه نصير الجديد، فما خرجت القصيدة من نفسه إلا وعليها طابع الشعراء»، أما عمر أبو ريشة فقال إن لديه: «ديباجة مشرقة، وأسلوباً متيناً، وإحساساً مرفهاً، يقف في الصف الأول من شعراء العالم العربي».

وقال قاسم في بحث مصادر اللغة بشعر البدوي: حيث تشمخ الأشجار، وتفيض السماء بدموعها بسخاء تبعث الطبيعة عطرها وأنغامها في هدوء وطمانينة في قرية ديفة ١٩٠٣ حيث ولد محمد الذي سيكتب الأدب العربي في معابد اسمه بحروف من نور، يتحدر الرجل من أصلاب الغساسنة الذي نص على انتسابه إليهم:

وغسان العلا قومي ولكن إن أدابك الغر انتسابي
وقال:

مليحة الدل من غسان لا بليت
شملت الصيد من أقبال غسان
وأفاد قاسم إن بدوي الجبل كان يرى بأن الشعر لا تعريف له، وكل تعريف للشعر جراءة على تميزه وفردية، والشعر عنده ضرب من النبوة، وأنه خيال وتعم وضوء وصور، ولكنه فوق ذلك شيء أشمل وأدق، إنه هدية الله إلى الروح، وحين يشبهه بالنبوة - النبوة إلهام وغيب - يكاد يشعر أن تعبيره عن هذا الشيء في الشعر يعنونه النقص، ويتجانف عنه الإطباق».

حيث قال البدوي:
أنا أبكي لكل قيد فابكي
لقرضي تغله الأوزان

التي جمعت شاعرنا بدوي الجبل بالشام، فهي سакنة في أعماق وجدانه دائماً وأبداً، ومقيمة في قلبه في حله وترحلته، وعرف في بدوي الجبل حبه لوطنه وعشقه لكل ذرة تراب وتراب، ووفاءه لأمله ولأبناء وطنه، وصدق انتمائه، ورهافة أحاسيسه ومشاعره»، مضيفاً أنه «قد لا أكون مغالياً إذا قلت إنه لا تكاد تخلو قصيدة من قصائد البدوي من حديث أو إشارة أو إلماحة عن الشام، بنقاصيلها الساحرة»، وأشار يونس بأن حديث بدوي الجبل عن الشام توزع في نمطين اثنين:

«الأول: الحديث عن الشام في قصائد خاصة، وهذا هو النمط الأمل في شعره.

والثاني: الحديث عن الشام في سياق قصائد ليست مخصصة للشام، وهذا هو النمط الأعم والأغلب، مبيّناً أن رمزية الشام تنوعت في شعر بدوي الجبل، فهي:

المكان، وهي الأم، وهي الحبيبة، إنها المكان أولاً بأبعاده الهندسية، وملامحه الموضوعية، الذي يجد فيه الشاعر راحتته وأنسه وصفاءه، بكل أجزائه وتفاصيله، بوروده وطوره ورياه»، حيث يقول:

لا تلمه إذا أحب الشاماً
أبت الشام مرتعاً ومقاماً
ما رأيتنا إلا آرينا
نزل طيباً وأهلاً كراماً
بردى والورد في ضفئفه
صيغات شعره والخزامى

شاعر متبرد

وذكر الشاعر صقر عليشي في محوره الذي جاء بعنوان «الجوانب المنسية في شعر بدوي الجبل»: أنه «يعتبر من الشعراء الكبار إذا لم نقل العرب فقط بل العالمين، ويتميز بخصائص كثيرة عن غيره منها الأسلوب والرفقة والسهولة والتنوع في المواضيع والجدوة».

وتحدث عن جوانب رآها منسية في قصائده بدءاً من مجموعته الأولى الصادرة عام ١٩٢٥ تحت اسم «الشفق» التي ظهر فيها كشاعر «متبرد»، يرفض المقولات الجاهزة والأعراف والتقاليد البالية فضلاً عن استخدامه لأوزان وموسيقا مختلفة في القصيدة الواحدة.

وأشار عليشي إلى أن المرحلة الثانية من شعر بدوي الجبل «ابتعد فيها عن قصائد الرثاء والمدح والغزل التي صيغت بداياته»، فوضع قصائد عبر فيها عن أفكاره ورؤاه كقصيدته «ما شأن هذا الأشعث الجواب وفلسفة الحقيقة» التي يستعرض فيها شعراء العربية ويمر عليهم مرور الناقدة، لافتاً إلى أنه في المرحلة الأخيرة من حياته «هذا الانفعال الشعري في قصائده».

وأضاف عليشي إن «ما أراه منسياً هو مرحلة فكرية مر بها بدوي الجبل سجلها على غرار أبو العلاء المعري وغيره وتسمى المرحلة الفكرية، حيث لا نجد قصائد للرثاء ولا للمديح، بل نجد قصائد إنسانية في الكون والأديان والشرايع، ربما رأى أن الطرح لا يناسب المكان ولا الزمان، مبيّناً أنه في «المرحلة الأخيرة مال إلى المهادة وكتب شعراً في الحنين والشعر الإنساني، هذا بالإضافة لشاعريته الكبيرة

أنقستنا بهؤلاء الأدباء، فالكتفرون يقولون إن هذه الندوة تتحدث عن الأصوات وتهمل الأحياء، بل الهدف منها هو استنكار مواقف الأدباء الوطنية لتتعلّم منهم لتكبر فيهم، وتكرم أنفسنا من خلالهم لتسترجع في ظل غياب الثقافة والقراءة حقيقة»، مبيّناً أنه «لم يتم تكريم نزار قباني ولم تكرم بدوي الجبل، ولم تكرم نديم محمد ولم تكرم الآخرين بل تكرم أنفسنا لنقول إن هؤلاء كانوا في أرض سورية العظيمة، فهؤلاء جنت عليهم بلادهم وهم لم يجنوا على أحد، لذلك يقول بدوي الجبل:

دع الشام فجيش الله حارسها
من يقحم الغاب يلق الضيغم الحردا

إلماحة عن الشام

وتناول الدكتور حمود يونس في محوره الذي جاء بعنوان «الشام في شعر بدوي الجبل» مستهلاً بأبيات من إحدى قصائد بدوي الجبل، وقال:

تطوحتي الأسفار شرقاً ومغرباً
ولكن بالشام قلبي مقيم
وأسمع نجواها على غير رؤية
أفي على طور الحلال كليم
وما نال من إيماني السمع أنني
أصلي لها في غربتي وأصوم
وقال يونس إنه «لعل هذه الأبيات الثلاثة تلخص لنا العلاقة

سارة سلامة

تصوير: طارق السعدوني

يضع عني وسيم من كواكبه
فحين أرتو إلى عينيك القاه
قلبي وللشجرة المغناح لهفته

«قف بالشام مسائلاً آثارها.. مرحى لمن أم الشام وزارها»، هذا ما قاله بدوي الجبل سنة ١٩٢٤، في قاعة المجمع العلمي بدمشق، معبراً عن عشقه لهذه المدينة ووصفاً لها بألق التفاصيل، من طيورها وورودها وبيوتها ورياحيتها وسماواتها.

و«بدوي الجبل» هو لقب أطلقه عليه يوسف العيسى صاحب جريدة «الف باء» الدمشقية في العشرينيات من القرن الماضي، الشاعر محمد سليمان الأحمد هو ابن قرية «ديفة» إحدى قرى محافظة اللاذقية، ويعد قامة شعرية كبيرة، متميزاً ببلغته التي تحمل الكثير من الحب والأنسى والشجن واللوعة، وحسب كثير من النقاد فإن شعره يتقارب بشكل كبير مع شعر المتنبي سواء من حيث ديباجته الصافية أم لغته الرصينة وقوة قوافيه.

وتكريماً لهذه القامة السورية الكبيرة، أقيمت في قاعة الدراما بدار الأسد للثقافة والفنون ندوة بعنوان «بدوي الجبل.. سيف الشعر العربي الحديث»، وتأتي هذه الندوة السادسة التي تنظمها وزارة الثقافة دورياً ضمن ندوة الأبعاء الثقافية الشهرية، وذلك بحضور ومشاركة وزير الثقافة محمد الأحمد راعي الندوة، وحضور المهندس هدى الحمصي عضو القيادة القطرية، وأعضاء مجلس الشعب، وعدد من أعضاء السلك الدبلوماسي المعتمد، ونخبة من المثقفين والشعراء والأدباء، أدار الندوة الدكتور إسماعيل مروة واشتمل برنامجه على ثلاثة محاور: «الشام في شعر بدوي الجبل»، و«اللغة الشعرية عند بدوي الجبل»، و«أضواء جديدة على شعره».

حُضن للعاشقين والمفكرين

والقى وزير الثقافة محمد الأحمد كلمة في مستهل الندوة قال فيها «عندما سئل الشاعر العراقي محمد مهدي الجواهري من أكبر شاعر في العصر آباب بدوي الجبل وشاعر آخر، أما الشاعر الكبير نزار قباني فوصفه بالسيف اليماني الوحيد المعلق على جدار الشعر العربي، على حين اعتبره الشاعر اللبناني سعيد عقل أحد أكثر قتلائد شعراء العربية والعالمين ورأى فيه الأديب الراحل محمد الماغوط آخر جمره في صقع الشعر العربي».

وبين الأحمد أن «بدوي الجبل كان يشكل صالوناً أدبياً يزوره كبار الأدباء والشعراء وكانت بلاده وأمتها مما حبيبتيه ليغمو مع الزمن حضناً للعاشقين والمفكرين وزاداً للمفكرين وغذاءً للعاطفيين».

وقرأ الأحمد مقطوعات من قصائده في رثاء المجاهد إبراهيم هنانو، حيث يقول:

سائلوا زحمة العواصف
لما رجت الأرض أين كنا وكانوا
كتب الحد ما اشتيت غير الحد
ونحن الكتاب والعنوان

وأشار الأحمد إلى قصيدة كانت محببة لدى شاعرنا الكبير من بين قصائده الكثيرة بعنوان «اللهب القدسي»:

عليشي: بدوي الجبل يرفض

الأعراف والتقاليد البالية

ويستخدم أوزاناً وموسيقا

مختلفة في القصيدة الواحدة

قاسم: بدوي الجبل من الذين

بسط لهم الله في البيان

بسطاً.. ويحجج له رزقه من موهبة

القول الدفاق.. وبلاغة الكلام



ضريح بدوي الجبل

تكريزة رمضان ومولد الهلال

مئير كيبال

اجتمعت لشهر رمضان من الخصائص المزايا ما لم تجتمع لغيره من أشهر السنة ولم نعرف شهراً بين أشهر السنة وصفوه بالمبارك والكريم غير شهر رمضان، حتى ذهب بعضهم إلى أن رمضان من أسماء الله الحسنى، لما لهذا الشهر بين شهور السنة من طابع أسمى وأجل وأسنى.

وجاء في القاموس المحيط للفيروزآبادي: رمض يوماً أشد حره، وقدمه احترقت من الرمضاء للأرض الشديدة الحرارة، وقد أطلق على الشهر اسم رمضان، لأنهم لما نقلوا أسماء الشهور رسموها بالأزمنة التي وقعت فيها فوافق شهر رمضان زمن الحر والرمض، أو سمي الشهر بهذا الاسم من: رمض الصائم أشد حر جوفه، أو لأن رمضان يمرض الذنوب أي يحرقها ويظهر النفوس.

وستحاول بهذا البحث إلقاء بعض الأضواء على السيران الذي يسبق بداية هذا الشهر المعروف باسم التكريزة، ومن ثم الوقوف عند مولد شهر رمضان.

فمن عادات الدماشقة القيام بما يُسمى: تكريزة رمضان، وهي عادة قديمة جرى عليها الكثير من الدمشقيين أيام زمان، ذلك أنه قبل حلول شهر رمضان يوماً أو أيام، يقومون بسيارين عائلياً، أو على شكل جماعات من الأهل والجوار إلى أقيام الغوطة الشرقية أو مناطق الربوة



الطعام وقد ينفرد البعض لمساعدة النسوة بإعداد الطعام، على حين البعض الآخر، يقضون الوقت بتدخين الأريكة ولعب لعبة من ألعاب ورق الشدة، والنرد أو لعبة من ألعاب طاولة الزهر، ومن الشباب المرافقين بهذا السيران من يتخلق مع أمثالهم حول شاب يعني من الميجناتا

شدت بين شحرتين أو أكثر بحيث لا تحجب عنهم التمتع بالنسيم العليل والماء المنساب بين الأشجار. وعلى حين تنهمك النسوة بإعداد الطعام من أنواع مقال البطاط والبانتجان والزهرة «القرنيط»، أو الشواء مع السلطة المرافقة لذلك

المقسم والنتشار والشادروان والفياض... مما يروي ولع الدماشقة بالخضرة والظلال، وأفانين الجمال، وهكذا كنت ترى كل جماعة قد افترشت لها مكاناً مطلاً على مناظر الخضرة والماء، وإمعاناً بالحرمة كانت كل جماعة تحجب نفسها عن أعين الغرباء والحشريين بجواز قماشية

والعتابا وأبو الزلف، أو بعض المنولوجات الشعبية ومن ذلك: ميت مرة مرة قلت للبابا زوجتي وشرب بيوم. ويذهب البعض بتفسير القيام بهذه التكريزة، على أنها وداع وفسحة، وداع لما لذ وطاب ويعيش المرء بعدها، بعيداً عن ملات الحياة الدنيا، للانصراف للعبادة، وقد يستمر المرء مع روحانيته الصيام، كما قد يعود مأخوذاً بلهو الحياة الدنيا.

أما ما كان من أمر إحيات مولد هلال شهر رمضان، فقد ارتبط ذلك بتقاليد موروثه، وهذه التقاليد تلتزم بأسس علمية، ففي ليلة التاسعة والعشرين من شهر شعبان يجلس القضاة والعلماء، ووجهاء الأحياء بالحكمة الشرعية التي كانت يترفاق المحكمة وبالقرب منها المدرسة الجوهريّة، وذلك خلال الساعة التي يتوقع فيها ظهور هلال شهر رمضان، بانتظار من يتقدم إليهم قائلاً: إنه شاهد هلال رمضان، وبعد التأكد من حسن سمعة هذا الشاهد، فإذا تأكد ذلك مع وقت المشاهدة المتوقع ووضع الهلال واتجاهه، أعلن الصيام وبالتالي انصرف الوجاه كل إلى الحي الذي أتى منه، لإعلان البشارة وانطلاق المسحurin كل إلى نطاقه لإعلام الناس بذلك. وقد نقل لنا ابن طولون في كتابه القلائد الجوهريّة حالات من إحيات مولد هلال شهر رمضان ومن ذلك أنه في عام ٨٩٥ للهجرة تهباً الناس لصوم اليوم التالي، فأصيبت المساجد وأزدمحت الأسواق،

وعلقت القناديل المشعلة بالمسجد الأموي. فاستغرب الموقنون ذلك، وقالوا إن رؤية هلال شهر رمضان عسرة، ومكته على ست درج فأنكروا على شعل القناديل بجامع يليغا فأطفئت القناديل بالمساجد ثم أتى رجل وشهد أنه رأى هلال رمضان، فلما تطابقت شهادة الرجل مع الوضع الفلكي للهلال، زكى الرجل المشاهد، فحكم بقبول شهادته وأعيد إشعال القناديل وأصبح الناس صياماً.

وكل مدينة في سورية مجلس مماثل على اتصال مع مجلس مدينة دمشق لتبليغ ما قد يحدث من مولد هلال شهر رمضان، وكان القاضي الشرعي ومجلسه بدمشق، يبقى بالمحكمة الشرعية حتى ساعة متأخرة بانتظار من يبث مولد هلال شهر رمضان بأي منطقة في أنحاء البلاد.

فإذا تأكد القاضي من صحة المشاهدة وتوافقها مع الميقان يجري التشاور في مجلس القاضي فإذا كان الإيجاب يعلن الصيام. واستعداداً لهذا الشهر المبارك تدب الحركة في المسجد الأموي ويتعاطف فيه النشاط، وتتوزع الأعمال وتتسوق بشكل يكون فيه المسجد معداً لاستقبال الصليين والمقبلين على الطاعات طوال النهار وجانباً كبيراً من الليل، وبالطبع فإن المساجد الأخرى بدمشق كمسجد الشيخ محي الدين وجامع التوبة والسكانية ومساجد تكون على جانب كبير من الاستعداد لاستقبال هذا الشهر المبارك.